

بسم الله الرحمن الرحيم
(مادة العقيدة ٢)
الدرس الرابع عشر

س/ ما معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: «حتى أن السجدة تكون خير من الدنيا وما فيها»؟

ج/ يعني أنه لما ينتشر المال ويفيض يلحق الناس من التنافس في الدنيا والإعجاب بها والإقبال عليها والفرح بشهواتها ورغباتها حتى أن الناس يبعدون أو يضعفون أو يقلون عن العبادة، فتكون السجدة في ذلك لها أجر عظيم لكثرة العوارض والصوارف عن الخير وتشبع النفوس بالدنيا، وقلة المعين على الطاعة.

س/ ما الحكمة من نزول عيسى -عليه السلام؟

ج/ هي تكذيب ما كان عليه اليهود الذين زعموا افتراءً وظلمًا أنهم صلبوه، وأنهم قتلوه، وأجروا في ذلك من القصص والأحاديث التي لا أصل لها، وإنما شبه لهم كما نصَّ على ذلك كتاب الله -جل وعلا- ابتلاءً وفتنة للعباد.

- وكذلك تكذيبًا للنصارى الذين جعلوا من عيسى -عليه السلام- ولدًا لله -سبحانه وتعالى- قال الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: ٧٣]، فما كان ذلك إلا أن الله ينزله في آخر الزمان فيكسر الصليب، فيدل هذا على إبطال ما كانوا عليه من نحلة فاسدة، ومن اعتقاد ضال، ومن جعله ولدًا لله -جل وعلا-، قال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: ١٥٩]، فيؤمنون من أنه لم يُصلب، ويؤمنون من أنه ليس بابن الله -جل وعلا-.

قال الله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَّقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} [مريم ٨٨-٩٠].

- وكذلك فيه تأييد لنبينا -صلى الله عليه وسلم- ورفعة لعيسى -عليه السلام- فإنه لما بشر به وأخبر بنزول نبينا -صلى الله عليه وسلم- وجاء في الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه العاقب، وأنه خاتم النبيين، فجعل الله -جل وعلا- تأكيدًا لذلك وتصديقًا أنه حتى مع نزول عيسى في آخر الزمان؛ فإنه لا يحكم إلا بشريعة نبينا -صلى الله عليه وسلم- فيدخل في أمته، ويكون على طريقته وشرعته -صلوات ربي وسلامه عليهم-.

س/ ما أعظم الأعمال التي يقوم بها عيسى -عليه السلام؟

ج/ أولًا: من أعظم الأعمال التي يقوم بها عيسى -عليه السلام- هو قتل المسيح الدجال، وقد ذكرنا ما يتعلق بذلك في المجلس الماضي، وذكرنا أنه لما يأتي إليه فيراه فيذوب كما يذوب الملح في الماء، ويهرب، ثم يطلبه عيسى حتى يلحق به عند باب لد، فهناك يقتله ويلحق باليهود الذين كانوا يناصرونه، وهم أكثر أو قريبًا من ٧٠ ألفًا كما نصَّ على ذلك الحديث، على ما مرَّ تفصيله في المجلس الماضي.

الثاني: يدعو على يأجوج ومأجوج فيستجيب الله له، فيصيبهم الله -جل وعلا- بالنفخ فيهلكم.

الثالث: أنه يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يقبل الجزية من كافر، وتنتهي الملل كلها، فلا يبقى إلا الإسلام.

- جاء في الحديث لما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلاً، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبلها من كافر»، ثم ذكر إفاضة المال.

الرابع: أنه يُرفع بعد ذلك التشاحن والتباغض، وجاء هذا في الحديث الذي عند البخاري وغيره، فيذهب من الناس الشحناء، ويذهب منهم البغضاء، وتنزل أو يحل سكون نفوسهم وطمأنينة قلوبهم.

الخامس: أنه يحصل بنزوله بعد قتل الدجال، ومن الأمانة للناس والبركة وشيوع الخير وظهور الأمانى للناس، حتى أنه يبارك لهم في أرزاقهم، فقد جاء في الحديث «أن الرمانة تكفي الناس - أو فئاماً من الناس- ويستظلون يقحفها لكبرها».

جاء أيضاً: أن «اللاقحة تكفي الفئام من الناس ومن البقر تكفي القبيلة، ومن الغنم تكفي الفخذ»، للإشارة إلى حصول البركة في ذلك.

- وجاء في بعض الأحاديث كما عند أحمد وعند الترمذي بألفاظ متقاربة، «أنه يأمن الناس حتى تكون الأسود مع الإبل لا تعدو عليها، وتكون الذئاب مع البقر لا تؤذيها، وتكون مع الغنم فلا تتسلط عليها».

- وجاء في الحديث: «حتى يلعب الصبيان بالحيّات والعقارب ولا تضرهم، يُنزع من سمومها». فهذا يدل أيضاً دلالة واضحة على أن الذنوب والمعاصي هي سبب الشرور في الأرض، ولأجل ذلك إذا حصل ذهاب هذه الأمور اطمأنت الناس وحصل لها الخير، وتتابع عليها الرحمات والراحة.

ولذلك يقولون بعد ذلك: يقل أثمان الخيل والثيران، لأنه لا يُحتاج إليها، ولا يكون بعد ذلك مقتلة ولا بلاء.

س/ لِمَ خَصَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- رفع التشاحن والتباغض بذكره في هذا المقام من أن عيسى -عليه السلام- يزيله ويرفعه؟

ج/ في هذا إشارة إلى عِظَم هذا الأمر، وهو ما يحصل من الشحناء والبغضاء بين الناس، ولذلك كان من عظمه أنه من المزايا والخصائص التي يَخُصُّ الله بها عيسى بن مريم حين ينزل في آخر الزمان أنه يرفعها، ولأجل ذلك كان من أعظم ما يختص به أهل الإيمان طيب نفوسهم، طمأنينة قلوبهم، عدم أخذهم على إخوانهم، حتى وإن جرت منه زلة، أو ظهرت منه هفوة، أو أظهر كلمة أو غيبة، أو جرى أشياء من ذلك كثيرة، كما يجري عند الناس، الناس يسمعون الكلمة فيطربون بها غضباً وخلاقاً ونزاعاً وخصاماً، ولربما كانت الكلمة منقولة كذلك أو مُحَرَّفة، ولربما كان لها ما يدعو إلى قولها، وربما لا يكون.

على كل حال، إقبال النفوس على التباغض سريع، وحضور الشيطان في ذلك أسرع، ولأجل هذا جاء في الحديث الذي عند مسلم في صحيحه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب، لكن في التحريش بينهم»، فإذا ضمنت هذا الحديث

إلى الحديث الآخر؛ علمت عظم أمر الشحناء والبغضاء وحرص الشيطان عليها، وما يترتب عليها من كثير من الآثام والذنوب والفساد الذي يعلو الأرض وحصل فيها.

س/ تحدث عن خروج يأجوج ومأجوج؟

ج/ - يأجوج ومأجوج قيل هما اسمان أعجميان، وأكثر القراءات على أنهما بالتخفيف "ياجوج ومأجوج" سوى قراءة حفص. وقيل إنهما اسمان عريبيان من التأجيج وهو التهاب النار، أو من الأجاج وهو الملح، أو من الأج وهو سرعة العدو. - يأجوج ومأجوج دلّ على حصولهم وخروجهم الكتاب والسنة.

أما الكتاب:

- قال الله تعالى: {قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف: ٩٤].
- قال الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء: ٩٦] آية سورة الأنبياء.

أما السنة:

- جاء في حديث أسيد في ذكر العشر آيات.
- جاء كذلك في الحديث الذي في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتُفتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج قدر هكذا»، فدل هذا على وجودهم.
- وأنهم من ذرية آدم.

والدليل على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الحديث: أن الله -جل وعلا- قال: «أخرج من أمتك بعث النار، أخرج من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون» فذاك حين تشيب الولدان، وتضع كل ذات حمل حملها «فيكون يأجوج ومأجوج تسعمئة وتسعون، ومن سائر ذرية آدم واحد». فهذا يدل على أنهم من ذرية آدم.

- يأجوج ومأجوج من البلايا والفتن.

يأجوج من البلايا والفتن التي يفتن الله بها العباد، ويبتلي بها الخلق، وجاء في ظهورهم ونزولهم كما جاء في الحديث أنهم «في سدّ مسدودٍ ومردومٍ لا يستطيعون خرقه حتى يأذن الله بذلك». ولهذا جاء في الحديث: «أنهم يحفرون في كل يوم شيئاً، حتى إذا لم يبق إلا شيء يكادوا ليخرقوه، يقول الذي عليهم: اتركوه وارجعوا إليه غداً، فيرجعون إليه غداً فيكون أتم ما يكون قبل ذلك»، كأنه ليس فيه خرق ولا شيئاً.

قال: «فيبدؤون يخرقون ويحفرون من جديد، حتى إذا لم يبق إلا قدر ما يفتحون ذلك السد فيقول الذي عليهم: ارجعوا غداً حتى تخرقوه إن شاء الله. قال: فيرجعون فيجدونه كما هو، فيخرقونه فيخرجون، فذلك وقت خروجهم»، وهو الوقت الذي أذن الله به، وهو الذي يكون من علامات الساعة، وأيام حصولها.

س/ كيف ترد على من يقول: أين يأجوج ومأجوج الآن، ليس لهم أثر؟

ج/ نقول كلمة لا تزيد، وقولاً واحداً لا يتغير، وإيماناً صادقاً لا يتبدل، أيهما أصدق: قول الله أو قول البشر؟ ما أخبر الله به، أو ما أخبرت به الآلات والاستكشافات؟ فلا شك ولا ريب ولا اختلاف في قلوب أهل الإيمان أن قول الله أصدق، وأن قول الله أحق، وأنا مؤمنون، وإن عجزت الآلات والأدلة والأقمار الصناعية أو غيرها عن الوصول أو تحديد مكانها أو العثور على ما يدل عليها، وهذا امتحاناً للعباد ليُرى إيمانهم بما أخبر الله به، وتصديقهم لما جاء عن الله.

فنحن مؤمنون بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومصدقون، لا نحتاج إلى تأييد، ولا إلى تأكيد، ولا إلى تفتيق هل يكون ذلك صحيحاً أو لا. فإن هذا لا يفعله إلا مَنْ في قلبه مرض، أو جاهل لا يعرف ما أخبر الله -جل وعلا- في كتابه، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢]، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

- ما يحصل عند خروجهم.

جاءت في ذلك أحاديث كثيرة، أنهم إذا خرجوا فهم قوم كثير جداً، حتى إنهم يفدون على بحيرة طبرية فيشرب منها أولهم حتى ينهوها، فيأتي آخرهم فيقولون: كان هنا ماء. ولذلك هم يأتون بعد ذهاب الدجال، حتى إذا كاد الناس يستقرون في أماكنهم ويأمنون في بيوتاتهم بعث الله -جل وعلا- هذه الفتنة، وكما قلنا هي أشراط متتابعة ومتوالية، فعند ذلك يحصل أن الناس ينفرون منهم، وتعود عليهم هذه الفتنة أعظم ما تكون، ثم يحصل لهم شرب المياه وإبعاد الناس حتى يصل الأمر من شرهم أنهم قالوا: قهرنا أهل الأرض، فيوجهون بسهامهم ونشابهم إلى السماء فيرمون بها، ومن عظيم ابتلاء الله للعباد أنها تعود هذه السماء مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا أهل السماء قوة وقهراً.

- كيف يموتون.

يصل لعيسى وأصحابه أنهم يضيق عليهم في مكان فيجأر الناس، فيسأل عيسى الله لهم، فيدعو الله -جل وعلا- أن يهلكهم، فيرسل الله -جل وعلا- عليهم هذا النخف، فيكون على أقفائهم، ثم يهلكون عن آخرهم.

فيحصل للأرض من ظهور ننتهم وزهمتهم شيئاً عظيماً حتى يدعو الله عيسى -عليه السلام- فيسأل الله -جل وعلا- أن يزيل ذلك، فتأتي طيرٌ فتأخذهم فترميهم في البحر. أو قيل من أنه يأتي مطر فيذهبهم -كما جاءت بذلك الأحاديث-. ثم يرسل الله -جل وعلا- ماءً فيغسل الأرض، وتبقى طيبة، ويحصل الخير الذي جاء في الأحاديث.

س/ ما يكون من العلامات بعد الدجال وعيسى ويأجوج ومأجوج؟

ج/ أنواع الخسف الثلاثة، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. والخسوف هذه ثلاثة محددة، وإن كان غيرها وهي الزلازل فإن هذه من العلامات الصغرى، فإنه جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم: «وتكثر الزلازل»، وهذا يراه الناس كثيراً في هذه الأوقات، ما يحصل من رجفة الأرض وتغيرها ونحو ذلك، فهذا شيء -كثرة الزلازل- لكن ستكون خسوف معينة لها أحوالها، وتكون أيضاً محددة متقابلة، في المشرق، وفي المغرب، وفي جزيرة العرب.

وحقيقته الخسف:

أن يذهب علو الأرض إلى سفها، ويحصل بذلك من البلاء شيء كثير. إذن هذه ثلاثة خسوف هي ثلاث علامات من العلامات الكبرى.

س/ ما يكون بعد الخسوف؟

ج/ طلوع الشمس من مغربها. وطلوع الشمس من مغربها جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة.

أما الكتاب:

قال الله تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا } [الأنعام: ١٥٨]

جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لقال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن الناس كلهم أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».

فأخذ من هذا أهل التفسير وأهل الحديث أن هذه الآية دالة على طلوع الشمس من مغربها،

أما السنة:

- جاءت في ذلك أحاديث كثيرة منها، «إن الله يتوب على مسيء الليل بالنهار، ويتوب على مسيء النهار بالليل، وذلك حتى تطلع الشمس من مغربها».

- وجاء في الحديث العظيم الذي عند البخاري في الصحيح لما سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه، فقال: «أتدرون أين تذهب الشمس؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: «فإنها تذهب إلى مستقرها عند العرش فتخر ساجدة حتى يقال لها ارتفعي، فترتفع من حيث طلوعها، ثم يكون الأمر كذلك حتى يأتي يوم فتأتي الشمس عند مستقرها فتخر لله ساجدة عن العرش، ثم يقال لها ارتفعي واطلعي من مغربك، وذلك حين طلوع الشمس من مغربها».

قال أهل العلم ونص على ذلك الخطابي وغيره من المحققين من العلماء أنه سجد حقيقي لا يُعلم كيف يكون، لكنه مما يؤمن به كما جاء ذلك في الآية العظيمة في قول الله -جل وعلا:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} [الحج: ١٨]، فعجباً أن يسجد الحجر والشجر والشمس والقمر، ويأبى بعض البشر، فيا حسرة من أعرض عن الله، وأعرض عن أمر الله، ولم يستجب لنداء الله -جل وعلا-.

ولذلك جاء في الآية: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [القلم: ٤٢]. قالوا: ذلك حينما كانوا يُدْعَوْنَ في الدنيا فلا يستجيبون لنداء الله -جل وعلا- فإنهم لا يمكنون من ذلك عند الله -سبحانه وتعالى-.

- تنقطع بطولع الشمس من مغربها التوبة.

طلوع الشمس من مغربها من الآيات العظيمة والتي ينتهي بها أو تنقطع بها التوبة، ويعظم بها الأمر، وذلك أن الناس إذا رأوها آمنوا، لكن لا ينفعهم إيمانهم، ولا يجدي عليهم توبتهم ورجوعهم إلى الله -سبحانه وتعالى-.

س/ ما يكون بعد طلوع الشمس من مغربها؟

ج/اختلف في ذلك، هل يكون الدخان قبل طلوع الشمس أو بعدها؟ لكن إذا قلنا من أنه بعدها؛ فالغالب أن طلوع الشمس يُقَرَّنَ به شيء آخر، وهو خروج الدابة، فخرج الدابة إلى طلوع الشمس أقرب، فهما مقترنان، وذلك لأنه جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «من أشراط الساعة: طلوع الشمس من مغربها والدابة، فأيتهما كانت أسبق؛ جاءت التي بعدها»، أو كما جاء عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

فدل هذا على أن الدابة تحصل بعد طلوع الشمس مباشرة، وأنها بعدها لا قبلها.

والذي يظهر أنها الدابة

فطلوع الشمس إذن هي العلامة السابعة، وتكون العلامة الثامنة هي خروج الدابة.

والدابة جاءت الدلالة عليها في الكتاب والسنة.

أما الكتاب:

قال الله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل: ٨٢].

وفي قراءة {تُكَلِّمُهُمْ}، وهذا جيد لأنه سيتعلق به بعض الأحكام التي ذكرها أهل العلم.

أما السنة:

جاء في حديث أسيد بن حضير، وجاء في غير ما حديث كالحديث الذي ذكرناه قبل قليل من أن الدابة تخرج، وهي من أشراط الساعة.

س/ ما حقيقة هذه الدابة؟

ج/ - الحقيقة ذكر أهل العلم كلاماً كثيراً واجتهدوا في حقيقة هذه الدابة، اعتبروا واعتمدوا على بعض الآثار، منهم من يقول مثلاً أنها فصيل ناقة صالح، وصححه بعض المفسرين وغيرهم من أهل العلم.

- وبعضهم قال من أنها كالجساسة، وأنها عجيبة غريبة كبيرة جداً، طولها ستون ذراعاً، وذكرها في أوصافها شيئاً من ذلك.

- وبعضهم قال: أنه حيوان اجتمع فيه من كل عضو من أعضاء الحيوانات.
- وبعضهم يقول أنه إنسان، وأنه يحتاج الناس ويبيّن لهم الحق، ويرد على الضلال ونحوهم.
لكن على كل حال ليس فيه شيء يمكن أن يُعتمد عليه في هذا، فيبقى أنها دابة، وأنه يظهر من سياق الأدلة أن فيها شيء من الغرابة والعجائب، أنها ليست على ما يألّفه الناس من الدواب التي يرونها.

س/ ما عملها؟

ج/ جاء في الأحاديث أنها تسمّ المؤمنين من الكافرين، فتشير حتى يتبيّن أن هذا مؤمن وأن هذا كافر.

وهذا الكلام فيه بيان، أنها بعد طلوع الشمس. لأن عند طلوع الشمس من مغربها يؤمن الناس كلهم أجمعون، فظهر منهم الإيمان، لكن منهم من إيمانه سابق فهو صحيح، ومنهم من إيمانه لاحق فهو غير معتبر ولا نافع.

فقد يكون ذلك مما يُعتضد به للقول من أن خروج الدابة يكون بعد طلوع الشمس من مغربها.

س/ ما يكون من علامات بعد خروج الدابة؟

ج/ العلامة التي تلي علامة الدابة هي الدخان، ومن أهل العلم من يقول أن الدخان سابق لطلوع الشمس من مغربها، ومنهم من يجعلها لاحقة لذلك، باعتبار أن بعدها النار التي تطرد الناس إلى أرض المحشر، فيقرّبها إلى أن تكون العلامة التاسعة.

وبعضهم يجعلها قبل طلوع الشمس من مغربها، وليس ذلك ببعيد.

= الدخان علامة من العلامات الكبرى، ودل على ذلك الكتاب

قال الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: ١٠، ١١].

حقيقة أن القول من أن هذه الآية دالة على الدخان فيه شيء من الاستشكال، فالدليل الدال على آية الدخان بلا إشكال هي دلالة السنة كما في حديث أسيد بن الحضير، وفي أحاديث أخرى جاءت عن النبي -صلى الله عليه وسلم.

لكن أهل العلم استشكلوا، هل هذه الآية: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: ١٠]، أنه هو الدخان المشار إليه في العلامات الكبرى أو أنه شيء آخر؟

- من أهل العلم من قال أنه دالٌّ على هذه العلامة، وهذا جمع قليل من أهل العلم، لكن الأكثر يقولون أن المشار إليه من هذا الدخان هو الذي كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لما علا الدخان حتى رآه قريش لما لحقهم الجوع والشدة، حتى إن أحدهم ليرفع بصره إلى السماء فلا يرى إلا دخاناً، وجاء ذلك عن ابن مسعود وغيره.

فلأجل هذا قال أهل العلم: أن الدخان دخانان، قال أهل التحقيق: أن الدخان دخانان:

١- دخان يكون هذا الذي حصل في عهد النبوة، في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لكن هذا هو الآية التي هي من العلامات الكبرى.

٢- أما الدخان الذي جاء في حديث أسيد بن الحضير فهو دخان من العلامات الكبرى يكون في آخر الزمان عند تتابع هذه الآيات، وهذا هو -القول من أن الدخان يكون من العلامات الكبرى-

هو قول عامة السلف والخلف وأهل العلم، منهم ابن عباس وغيره، على أن هذا الدخان دخان يأتي في آخر الزمان ليس هو الذي دلت عليه دلالة الآية، وإنما جاء ذلك في دلالات السنة عن نبينا -عليه الصلاة والسلام.

س/ ما هي آخر العلامات الكبرى؟

ج/ هي النار التي تحشر الناس أو تطرد الناس إلى محشرهم، كما جاء ذلك في حديث أسيد وفي غيره.

فهذه نار عظيمة تحشر الناس وتطردهم إلى محشرهم، وهي عند كثير من أهل العلم أنها آخر الآيات، وآخر ذلك -كما في حديث أسيد.

- لكن جاء في حديث آخر أن «أول أسراط الساعة نار تطرد الناس إلى المحشر».

قالوا في الجمع بين الحديثين: أن أول أسراط الساعة -يعني التي هي ليس بينها وبين الساعة شيء، فهي لا فارق بينها، فهي باعتبار قربها من الساعة فهي أول شيء، يكون بعده حصول الساعة ونزولها. يعني كالتقريب بين الدليلين.

- فهذه النار جاء في بعض الأحاديث أنها تكون في عدن حتى تطردهم إلى أرض المحشر، وقيل أرض المحشر المراد بها هنا الشام، فهي أرض المحشر والمنشر، وذكر في هذا كلاماً، وأنها تكون مع الناس فتطردهم، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، وتمشي معهم حيث مشوا.

لكن هذا الحشر هو الحشر الذي في يوم القيامة؟ أو هو حشر من الحشر الذي يكون من علامات الساعة، لكنه ليس الحشر الذي يكون يوم القيامة؟

من أهل العلم من قال هذا وهذا، لكن يبدو أنه حشر ليس هو الحشر الذي يكون يوم القيامة، لأنه جاء في ذلك الوقت: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم: ٤٨]، وجاء أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً، يقوم الناس من قبورهم، إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على أن الحشر المراد هنا ليس هو الحشر الذي يكون يوم القيامة، لكنه حشر كالمقدمة لقيام الساعة وظهورها، ويمكن أن يكون مقدمة إليه -والله جل وعلا أعلم.

س/ هل رفع القرآن، ونقص الإسلام، من العلامات الكبرى؟

ج/ ليس رفع القرآن، ونقص الإسلام من العلامات الكبرى، لكنها قرينة أو مقاربة لها، جاء في الحديث «يدرس وشي الإسلام حتى لا يُدرى ما صلاة ولا صيام، حتى لا يعرفون إلا الله الله، فعلى أولئك تقوم الساعة»، هذا من الأشياء التي يُخبر بها من علامات الساعة.

وجاء كذلك في الحديث «ويأتي على الناس زامن يُفرع المصحف حتى يفتح المصحف لا يجدون شيئاً»، وهذا من أعظم ما يحصل به البلاء.

- وكذلك هدم الكعبة وما جاء من أخبار ذي السويقتين، فهي من العلامات الصغرى، لكنها قريبة من العلامات الكبرى أو مقارنة لها.

هذا وصل اللهم وسلم وبارك على النبي محمد